الجمعية المصرية للدراسات التاريخية
SOCIÉTÉ ÉGYPTIENNE D'ÉTUDES HISTORIQUES

المجلة التاريخية المصرية

المجلد الحادى والعشرون ١٩٧٤

المراسلات باسم

الأستاذ الدكتور أحمد عزت عبد الكريم

رئيس الجمعية المصرية للدراسات التاريخية

٢ شارع ناصر الدين المتفرع من شارع عبدالسلام عارف (البستان سابقاً)
القاهرة تليفون ٧١٩٧٢

مطبعة الجيلاوى
٢٠٢ شارع الترعة البولاقية

رقم الايداع بدار الكتب ٤٠٥ / ١٩٧٤

المحتويات

	من	إلى
خطاب تأبين المرحوم الأستاذ الدكتور حسن عثمان		
ألقاه الأستاذ الدكتور محمد محمود السروجي . .	١	١٢
بحوث :		
الألعاب الأولمبية القديمة		
للدكتور سيد أحمد على الناصرى	١٥	٣٦
الإسلام والحضارة العربية فى شرق أفريقيا		
للدكتور عبد الرحمن زكى	٣٧	٦٦
الرنوك على عصر سلاطين المماليك		
للدكتور أحمد عبد الرازق أحمد	٦٧	١١٦
الاعداد المعنوى للحرب الصليبية المضادة		
للدكتور صلاح الدين البحيرى	١١٧	١٣٤
دراسة تاريخية لتطور مفهوم الدولة فى جزيرة العرب فى العصر الحديث		
للدكتور عبد الفتاح حسن أبو عيلة	١٢٥	١٤٦
سياسة بريطانيا فى مسقط وزنجبار (١٨٥٦ ـ ١٨٧٣م)		
للدكتور جاد طه	١٤٧	١٩٤

	من	الى
أصحاب القمصان الملونة فى مصر (١٩٣٣ - ١٩٣٧) للدكتور يونان لبيب رزق	١٩٥	٢٥٢
نشأة الاستيطان الصهيونى فى فلسطين (١٨٣١ - ١٩١٤) للدكتور عبد العزيز محمد عوض	٢٥٣	٢٨٤

وثائق ونصوص :

أضواء جديدة على حرب دارفور (١٩١٦) من ذكريات اللواء على موسى تقديم الدكتور محمد المعتصم	٢٨٧	٣٠٦

نقد الكتب :

The Israeli Soldier, A profile of an Army. عرض محمد عبد الرءوف سليم	٣٠٩	٣١٤
Military and Politics in Israel, Nation – Building and Role. عرض محمد عبد الرءوف سليم	٣١٥	٣١٩
Humphrey Trevelyan: The Middle East in Revolution. عرض الدكتور رءوف عباس	٣٢٠	
Aaron S. Klieman : Foundations of British policy in the Arab World : The Cairo Conference of 1921. عرض الدكتور رءوف عباس	٣٢١	٣٢٢
أنباء ومؤتمرات :	٣٢٥	٣٢٩
رسائل جامعية :	٣٣٣	٣٤٠

من إلى

بحث باللغة الإنجليزية :

CERTAIN ASPECTS OF SOCIAL POLICY IN THE FIRST INTERMEDIATE PERIOD

للدكتور خالد الدسوقي . . . . . ١ — ٢٥

بحث باللغة الفرنسية :

Les activités' des rois de la XXVI° dynastie à Sais

للأستاذ رمضان السيد . . . . . ٢٧ — ٣٦

الإسلام والحضارة العربية
فى شرق أفريقيا

دكتور عبد الرحمن زكى

الوجود العربى فى ساحل شرق أفريقيا

جاء العرب إلى ساحل شرق أفريقيا فى هجرات متتابعة متبعة نفس الطرق الملاحية التجارية التى سلكها العرب وغيرهم فى المحيط الهندى وبحر العرب منذ أقدم العصور ، وترجع هذه الهجرات إلى أسباب شتى ، منها الاقتصادى والسياسى والدينى ، وتمكن العلماء بوساطة القصص المحلية ومن أطلال المدن القديمة المتناثرة ، ومن الآثار التى كشف النقاب عنها — أن يقفوا على معالم الحضارة العربية أو الفارسية التى ازدهرت فى هذا الساحل ، وقد كان لما سجله الجغرافيون والرحالة العرب فى العصور الوسيطة أهمية فى تحقيق ما كانت عليه تلك المدن العربية .

وهكذا استطعنا أن نكتب تاريخ تلك البلاد ونتعرف على مجتمعاتها ، وسنتناول بإيجاز الكلام عن تلك الهجرات العربية التى كان لها الفضل فى قيام الإمارات والدول العربية حتى وقعت فريسة الغزو الاستعمارى تحت سطوة البرتغاليين أو من جاءوا بعدهم من إيطاليين أو ألمان أو بريطانيين .

الهجرات العربية

(١) هجرة سليمان وسعيد (بين ٦٩٦ و ٧٠٤ م) :

يقال أنه سبقتها هجرة لم تصلنا أنباء مفصلة عنها . وكانت هذه هي الهجرة الثانية ، وتعتبر أول استيطان عربي وصلنا عنه بعض المعلومات فى أوائل القرن الثامن فى أثناء حكم الخليفة عبد الملك بن مروان (٦٨٥ – ٧٠٥ هـ) . فقد نهض شعب عمان وموطنه الأصلي عند الشاطىء للخليج العربي الفارسي تحت زعامة زعيمين هما سليمان وسعيد بثورة ضد الخليفة وقد فاز الثائرون فى بداية الأمر ثم تغلبت عليهم قوات الحجاج في عمان (٦٩٥ م) واضطر سعيد وسليمان إلى الفرار للخلاص بحياة رجالهم تاركين وطنهم وهاموا فى جموع من أسراتهم وقبائلهم مولين وجوههم شطر الساحل الأفريقي ولا يعلم تماما أين نزلوا على البر ، ويحتمل أن يكونوا نزلوا فى باتا فى أرخبيل لامو .

(٢) هجرة الزيديين (قرابة ٧٥٠ – ٧٦٠ م) :

وفرت الجماعة الثانية من مهاجرى العرب أثر نشوب نضال بين الشيعة وكان ذلك فى بداية القرن الثامن عندما انشقت صفوف الشيعة إلى طائفتين متخاصمتين ، وقد كان على رأس الطائفة الأولى زيد أكبر أحفاد الإمام على زوج بنت الرسول ، وأطلق على هذه الجماعة أهل زيد . وقد هزم رجال الخليفة تلك الجماعة فى عام ٧٢٩ – ٧٤٠ وقتل زيد واضطر أتباعه إلى الفرار وجاء بعضهم إلى ساحل شرق أفريقيا ، حينئذ استقروا عند ساحل بنادر (الصومال الشرقى) بالقرب من موقع مقديشو عند شنجايا .

(٣) هجرة الأخوة السبعة من الإحساء (بعد ٩٠٣/٩٠٤ بقليل) :

وفى خلال المائتى سنة تمكن أتباع زيد أن يسيطروا على ساحل بنادر حتى وصلت طوائف أخرى من ولاية الإحساء فى شرق الجزيرة العربية وكان على رأسهم سبعة إخوان جاءوا فى ثلاثة سفن ونزلوا عند شاطىء بنادر حيث شيدوا مدينتى مقديشو وبروة (٨٠٩) ورفض أتباع زيد الاعتراف بسيادة هؤلاء وفضلوا الانسحاب إلى قلب البلاد واختلطوا بالأهالى .

(٤) هجرة حسن بن على وأبناؤه الستة (قرابة ٩٧٥ م) :

يتلخص تاريخ حسن بن على الذى جاء إلى الساحل الأفريقى يصحبه أبناؤه وعدد كبير من أتباعه ، أنه كما قيل كان ابن سلطان شيراز فى فارس أو أنه كان السلطان ذاته ولا تعلم الأسباب التى أدت به إلى مغادرة شيراز فى عام ٩٧٥ م . وصلوا فى سبع سفن متواليات ونزلوا فى عدة أماكن على الشاطىء الشرقى . واحدة منها فى منبسة ، وثانية فى بمبا ، وثالثة فى كاوه ، وهى التى كان عليها حسن بن على ، ورابعة فى جوهانا . والمعروف أن على بن الحسن هو الذى استوطن كاوه وأقام فيها المدينة الإسلامية وخضعت مافيا له .

وعلى أثر وصول تلك الجماعات بدأ الأهالى من الإفريقيين يدخلون تدريجا فى الإسلام . ثم استوطن العرب إقليم سفالة جنوبى موزمبيق بين عامى ٩١٠ و ١٢٢٠ م ، كما انتشر هؤلاء فى جزيرة مدغشقر لاسيما فى الشمال الشرقى والجنوب الغربى وتكون من الإفريقيين والعرب والملايو سكان مدغشقر الجنس الملجاشى ، وعلى مر الأيام أوغل عرب الشاطىء الأفريقى فى أنحاء المناطق القريبة والمحاذية للساحل وشقوا سبيلهم شمالا إلى الحبشة

وإلى أوغندا وتنجانيقا وإلى نياسالند ومن المدن التى شيدها العرب على الساحل الشرقى : مالندة ومنبسة وزنجبار وكلوه وسفالة وغيرها من المستوطنات الصغيرة .

(٥) غزوة آل النبهانى (قرابة ١٢٠٣ م) :

وفى فجر القرن الثالث عشر ، قام من عمان سليمان بن سليمان بن مظفر النبهانى على رأس أتباعه الكثيرين وقصدوا جزيرة باتا ثم تزوج من ابنة زعيم سواحلى اسمه إسحق حاكم باتا ، ومن ثم آلت إليه السلطنة فأسس الأسرة النبهانية التى تولت حكم شطر كبير من الساحل الأفريقى حتى القرن التاسع عشر .

وهكذا نرى أنه فى المدة التى توسطت وصول حسن بن على (قرابة ٩٧٥) ووصول البرتغاليين عام ١٤٩٨ وهى قرابة خمسمائة سنة أطلق على هذا الساحل الذى تناثرت فيه المدن والمستوطنات الإسلامية بلاد الزنج وقد ازدهرت فى أثناء تلك الحقبة دويلات من أصل عربى أو فارسى ونشأت أيضا سلطنات وكان لدولة كلوه الشيرازية العربية السيادة على بعض الدويلات الساحلية الأخرى وفى خلال تلك المدة ازدهرت تجارة العاج والذهب والدقيق بين الشاطىء الأفريقى وآسيا ثم اتسعت المدن التى اقتبست الطابع العربى ، وبلغت مستوى راقيا فى الحضارة ويشهد بذلك ما سجله العرب والبرتغاليون وغيرهم فى مؤلفاتهم .

الطابع العربى
لمدن الساحل الشرقى الأفريقى

سنتحدث فى الصفحات التالية عن الطابع العربى الذى يسود بعض مدن ساحل شرق أفريقيا ، لاسيما الآثار الدينية والمدنية التى يرجع تاريخ أقدمها

إلى القرن الثالث عشر الميلادى وأحدثها إلى القرن الثامن عشر . تتناثر تلك الآثار فيما بين مضيق باب المندب المواجه لليمن الجنوبية ، ونهر لمبوبو فى الجنوب . وبالإضافة سيشمل هذا المقال - الآثار الإسلامية الباقية فى جزر بمبا وزنجبار والقمر وملجاشى (مدغشقر) . وقد تأثرت حضارة هذا الشاطىء (ثلثاه من الشمال) بحضارات أقرب البلاد إليه المطلة على بحر العرب والمحيط الهندى وأهمها شبه الجزيرة العربية والخليج العربى وجنوب فارس وغرب الهند وجزر الأرخبيل الإندونيسى خلال الألفى سنة الأخيرة. ومع ذلك فلم يتم بعد أى تنقيب على نطاق كبير أدى إلى العثور على أطلال تعود إلى أيام ماقبل الحضارة العربية أو الإسلامية . ويمكن أن نقول ذلك أيضا عن مخلفات الحضارة الإندونيسية باستثناء ما خلفته فى لغات بعض قبائل مدغشقر . والحقيقة الأولى التى ينبغى أن نضعها فى اعتبارنا فيما يتعلق بتاريخ تلك الآثار الإسلامية فيما بين مضيق باب المندب وملجاشى ، هى أن أقدم أثر هو ذلك النقش الكتابى القائم فى جامع كيزمكازى (Kizimkazi) فى زنجبار الذى يرجع تاريخه إلى عام ٥٠٠ هـ (١١٠٧م) وقد أعيد تثبيت تلك اللوحة التاريخية لما أعيد بناء المسجد من جديد فى القرن الثامن عشر . ويمكن القول بأن القصر المعروف باسم حصون كبوا (Husuni Kubwa) ، والمبنى الذى يجاوره المعروف باسم حصون ندجور (Husuni Ndogo) اللذان قام بالتنقيب عنهما عالم الآثار نفيل تشيتيك (Neville Chittic) بأنهما يرجع تاريخهما أيضا إلى القرن الثانى عشر .

أيدت الأبحاث التاريخية وبعض التنقيبات الأثرية القليلة التى أجريت عند مواقع تلك الآثار أن بناة غالبية هـــذه المبانى كانوا من المهاجرين الآسيويين من عرب وشيرازيين ممن استوطنوا الشريط الساحلى الأفريقى منذ القرن الثامن الميلادى أو سلالتهم وهم ثمرة استيطان هؤلاء بعد تزاوجهم

واختلاطهم بالأسرات الأفريقية . لكن مما لاشك فيه أن هؤلاء العرب أو الشيرازيين الذين قدموا إلى الساحل فى هجرات سابقة منذ القرن الثامن هم الذين شيدوا مقديشو أولى المستوطنات العربية فى القرن التاسع ، وبراوة التى أسسها رجال هجرة الأخوة السبعة الذين قدموا من الأحساء فى القرن التاسع أيضاً ، ومدينة لامو (Lamu) أقدم الإمارات الإسلامية ، ومدينة پات (Pate) فى أوائل القرن العاشر ، وماليندى (Malindi) القديمة فى القرن العاشر ، ومدينة ممباسا (Mombasa) وليدة القرن العاشر أيضاً ، مدينة كلوة (Kilwa) التى بناها رجال الهجرة الرابعة تحت زعامة حسن ابن على وأبنائه الستة الذين قدموا من شيراز إلى الساحل الأفريقى قرابة عام ٩٧٥م أو عقب ذلك ، ومدينة سفالة (Sofala) فى أوائل القرن الحادى عشر ، وزنجبار القديمة ، وغيرها من المنازل والمستوطنات العربية .

ومما ينبغى أن نضعه فى اعتبارنا بخصوص الذين بنوا تلك المدن العربية أو ما أقاموه فيها من الآثار سواء ما بقى منها أو ما أصبح أطلالا ، أنهم كانوا وهؤلاء القادمين إلى الساحل ممن اتخذوه موطنا لهم . وليس بناتها من الأفريقيين الذين لم تكن لهم فى ذلك الحين معرفة بأصول البناء بالحجر حينما قدم هؤلاء الآسيويون . نعم ، لم يكن لهم باع يذكر فى أصول البناء والتجارة وما تتطلبه هذه الصناعة المتقدمة من تخطيط دقيق وأعمال بناء وحرف أخرى . والمعروف أن الآسيويين هم الذين جلبوا إلى هذا الساحل — الدين الإسلامى واللغة العربية وحضارة العرب ، وجلبوا معهم أساليب الزراعة المتقدمة ، فأدخلوا إليه أنواعا شتى من النباتات كقصب السكر والقمح والقرنفل والبصل والقرع والموز ، وربما شجر النخيل ، وكذلك جلبوا معهم فصائل شتى من الحيوان المستأنس كالماعز والغنم والحمام الأنيس والثور ذى السنام .

ويلاحظ عامة ندرة الآثار الإسلامية التى ترجع إلى ماقبل القرن الرابع

عشر . تلك التى تتسم ببساطة فى التصميم والأسلوب البنائى غير المعقد . كما يلاحظ أيضاً أن أكثر ما بقى من تلك المبانى، هو المساجد الكبرى ، وأقدمها : جامع كلوة الكبير الذى ينسب إلى القرن الخامس عشر ، وربما يعتبر مسجد فخر الدين بمقديشو أقدم من جامع كلوة .

وقبل أن نأتى بثبت (List) هذه الآثار الإسلامية الآسيوية الأصل، ينبغى أن نذكر أسماء بعض العلماء الأجلاء الذين أسهموا فى التنقيب عن بعض آثار الساحل الشرقى الأفريقى وهم : نيفيل تشيتك «وجيرفيس ماثيو»، «وفريمان جرنفيل» ، وجيمس كيركمان » و« جراى » ، والمورا رونيسون. كما ينبغى أن نعترف بفضل الرحالة العربى ابن بطوطة الذى زار معظم مدن هذا الساحل فى أوائل القرن الرابع عشر وسجل لنا مشاهداته المفيدة .

فبعد أن زار ابن بطوطة أثناء رحلته المشهورة عدن قرابة عام ١٣٣٢ م قصد زيلع شمال الصومال ، فبات فى السفينة ليلة واحدة ثم غادرها إلى مقديشو عند وصوله إليها رحب به شيخ المدينة ، وكان اسمه أبو بكر بن الشيخ عمر. وكان رحالتنا قد لاحظ أن الواحد من أهل مقديشو يأكل قدر ما تأكله الجماعة منا عادة ، وهم فى نهاية من ضخامة الجسوم وسمنها » . ثم قصد الرحالة جزيرة منبسة، فقال عن أهلها أنهم شافعية المذهب ، أهل دين وعفاف وصلاح ومساجدهم من الخشب محكمة الإتقان . وبعد مبيت ليلة فيها غادرها إلى مدينة كلوة وقد بهرت ابن بطوطة عظمتها ، فكتب عنها : « وهى مدينة عظيمة ساحلية أكثر أهلها الزنوج المستحكمو السواد ، ولهم شرطان فى وجوههم ، ومدينة كلوة من أحسن المدن وأتقنها عمارة وكلها بالخشب ، والأمطار بها كثيرة ، وأهلها أهل جهاد والغالب عليهم الدين والصلاح وهم شافعية المذهب. وكان سلطان كلوا على زمان ابن بطوطة أبو المظفر الحسن وقد تكلم عنه كثيراً .

الآثار الإسلامية فى صوماليا

ولنتحدث عن أهم الآثار الإسلامية الباقية فى الصومال ، فأول ما يقابلنا منها فى مقديشو منارة الجامع الكبير الأسطوانية الشكل وقد بدىء فى بناء الجامع فى أول المحرم عام ٦٣٦ هـ . (١٤ أغسطس ١٢٣٨) ويؤيد صحة هذا التاريخ تلك الكتابة التاريخية المنقوشة بخط النسخ والمثبتة فوق أحد أبواب الجامع القديم الذى اندثر وشيد فوق مكانه المسجد الحالى فى القرن التاسع عشر . وفى مقديشو مسجدان قديمان . مسجد فخر الدين ، ومسجد أربع الركن . وفى المسجد الأول قبلة تحتوى على لوحة من الرخام تحيط بها كتابة باسم الحاج ابن محمد بن عبد الله (من المحتمل أن يكون اسم الصانع الذى صنعها)، وتاريخ الصنع وهو نهاية شعبان ٦٦٧ هـ (٢٧ أبريل — ٦ مايو ١٢٩٦) . وينسب بناء هذا المسجد إلى أول سلاطين مقديشو أبو بكر بن فخر الدين ، وتطل واجهة المسجد الرئيسية تجاه الشرق وله ثلاثة أبواب وعلى أعتابها ثلاثة نقوش واضحة، وعلى مقربة من هذا المسجد يقوم مسجد أربع الركن، وقد نقش على محرابه كتابة باسم مشيده « خسرو بن محمد الشيرازى » والتاريخ الهجرى ٦٦٧ هـ (١٢٦٨/٦٩) . وهناك مساجد أخرى أحدث عهدا بالإضافة إلى ما شيد حديثا .

آثار مدينة مركا (Merca)

تقع مركا جنوب مقديشو . والجزء القديم منها عبارة عن أطلال يقوم فيه الجامع الكبير ويوجد حول المحراب كتابة منقوشة تشمل تاريخ عام ١٠١٨ هـ (١٦٠٩) . ويبدو أن الجامع شيد بعد هذا التاريخ . ومسجد الشيخ عثمان وبه تاريخ منقوش يقرأ لعام ١٥٦٠ . والجدير بالذكر أن مركا مدينة قديمة ذكرها الجغرافيون : الادريسى وابن سعيد وياقوت . والمدينة اليوم - لا تحتوى على أثر ما يرجع إلى القرنين الثانى عشر أو الثالث عشر .

آثار مدينة براوة (Barawa)

تقوم براوة جنوب مقديشو وشمال نهر جوبا ولم يذكرها واحد من جغرافيي العرب ، وتتفق معظم المراجع على أن الذين شيدوها كانوا الأخوة السبعة الذين قدموا من الأحساء بعد عام ٩٠٤ هـ بقليل . ويوجد فى جامعها الكبير نقش كتابى تاريخه القرن التاسع الهجرى (١٥ م) ، وهناك جامع آخر ينسب إلى القرن الثانى عشر الميلادى . والمعروف عن سكان براوة أنهم قاوموا ببطولة الغزاة البرتغاليين لاسيما فى الرحبة التى يطل عليها الجامع . وهناك عدد من الصور التى تتميز بأعمدة مدببة الشكل تقريبا . ويقابلنا فى راسينى (Rasini) أجمل محراب وذلك فى جامعها وهو قريب الشكل بمحراب منجانى (Mangan) بالقرب من جيدى (Gedi) . ولم تجر فيها تنقيبات ويحتمل أن يعثر فيها على بيان ترجع إلى ما قبل القرن الرابع عشر .

الآثار الإسلامية فى ساحل كينيا

إن أهم ما فى أرخبيل لامو (Lamu) ، بات (Pata) ، فهى أكبر الجزر ومنها ثلاثة مدن رئيسية : بات وفازة وسيو (Siyu) . وقد استقر حكم بات فى أسرة النبهانى من عام ١١٥٤ إلى عام ١٤٠٦ ولقد فقدت المدينة العظمى مكانتها المجيدة منذ قرون ، فهدم سورها وجامعها القديم وبنى آخر فى مكانه وآلت أهميتها إلى منافستها فازة التى عرفها البرتغاليون باسم أمبازة (Ampaza) وأهم آثارها أطلال مسجدين قديمين ، أولهما بوانا شالى فتانى » وفيه محراب رائع ، وثانيهما مسجد موينى نجومبى » ويمتاز أيضا بشكله اللطيف ، ويرجع تاريخ إنشائهما إلى القرنين ١٨ و ١٩ . ويقوم فى تندوا (Tandwa) أطلال مسجد ، ومثله فى تكوا (Tkowa) . كما أن هناك أطلال جامع كبير فى ماندا (Manda) وأطلال مسجد صغير .

لامـــو

ليس فى لامو أية آثار قديمة وتقع المدينة على عرض ٢ جنوبى خط الاستواء وعلى الجانب الشرقى من الجزيرة التى تحمل الاسم نفسه ، ونظرا لانفصالها عن جسم القارة الأفريقية فهى تأمن الخطر من هجوم القبائل التى سببت دمار المدن الساحلية أكثر من مرة فيما قبل وهى كذلك بعيدة عن خطر الأمواج المحيط . ولامو عربية الطابع ، فشوارعها ضيقة وبيوتها عالية الجدران وليس لها نوافذ خارجية ويدخلها الضوء عن طريق أفنية داخلية . ويسكن لامو قرابة سبعة آلاف نسيمة ثلثاهم من أصل عربى ومعظمهم من عمان [١] وحضرموت . وهم ما يزلون يحتفظون بأسماء أسراتهم العربية كالمعاوى والعلوى والخطيب والجهاضمى وجميعهم مسلمون ومعظمهم يتبعون المذهب الشافعى ، وفى المدينة أقلية إباضية وجميعهم حريصون على إداء فروض الدين . وفى لامو على صغرها أربعة وعشرون مسجداً ومعظمها فى حالة صالحة للاستعمال وفى بعضها مدارس ملحقة بها يتعلم فيها الأطفال القراءة والكتابة العربية والسواحلية وأصول الإسلام والتاريخ العربى والنحو والتدريس فيها بالمجان [٢] .

وفى لامو كلية دينية إسلامية يتوافد إليها التلاميذ من أرجاء ساحل شرق أفريقيا وتتراوح فيها مدة الدراسة بين عامين وخمس أعوام ، ومؤسس الكلية الحبيب صالح جمال الليل وفد إلى لامو فى عام ١٩٢٨ من جزائر القمر وصار له أثر فعال فى الحياة الثقافية فى لامو .

وفى جنوب لامو تقوم أنجوانا (Unguona) وهى بلدة ساحلية من أروع مدن الأطلال على الساحل الشرقى ، وتغطى هذه الأطلال مساحة خمسين فداناً وعليها جامعان كبيران ومساجد صغرى شتى ، يحتوى واحد

منها على محراب جميل وفيها بعض الدوز الخاصة وسور وعدة قبور . وقد أمكن إزالة أنقاض الجامعين فظهرت ملامحها . وفى موانا (muana) جامع كبير يبدو أنه كان رائع البنيان ، ومسجد آخر صغير .

وفى مالندى (malindi) وتقع على ساحل كينيا عدة قبور ذات عمد التى يمتاز بها ساحل شرق أفريقيا وربما كان الشيعة الأول هم الذين جاءوا بهذا الطراز إلى الساحل منذ القرن التاسع عشر أو بعده . وأقدم هذه القبور ذات العمد فى جزيرة كليبو (Kilepoa)وربما شيدت فى القرن الرابع عشر. وهذا العمود مثمن الأضلاع وليس مستديراً كالعمد الأخرى . والمعروف أن على بن حسن وأبنائه الستة حينما قدموا على سفنهم إلى الشاطىء الشرقى خربوا بلدة مالندى ثم شيدوا مالندى الجديدة فى مكان يقع بالقرب من المدينة التى أحرقوها ، وكان ذلك قرابة عام ٩٧٥/٩٧٦هـ وقد وصل إليها البرتغاليون عام ١٤٩٧ . ويقع بالقرب من مالندى مدينة جيدى القديمة (Gedi) التى تتسم بالأسلوب الفارسى .

والعمد فى جيدى ذات قنوات ومنها ماهو مثمن القطاع أو سداسى . وبعض ما تبقى من أطلال مالندى يتسم بالطراز الفارسى لا سيما تلك القبور وقطعات الخزف التى عثر عليها المنقبون . ويقع قريباً من مالندى — كيليفى (Kilifi) ذكرها مؤرخو البرتغال كثيراً وتشمل أطلالها الباقية مسجدين ، أحدهما اشتهر بجمال هندسته فى شرق أفريقيا لاسيا زخارفه المرجانية التى تتوسط العقود (Carued coral bosses). وفى جنوب كيليفى وعلى الشاطىء الممتد إلى منبسة تتناثر أطلال المساجد والقبور القديمة، وعلى سبيل المثال يوجد فى متوانا لا جومبى (mtwana) ومتوابا (mtwapa) مسجدان خربان وبقايا بعض الدور .

مدينة جيدى الزهراء (Gedi)

نصل إلى مدينة جيدى التى تقع على بعد ٦٥ ميلا شمال منبسة وبها أطلال المدينة القديمة جيدى . وقد كشف العلامة كركمان (kirkman) القناع عن تلك المدينة الرائعة .. فبدت مساجدها وقصورها ودورها وسوقها وسورها وأبوابها ... ولا يعرف على وجه الدقة متى تخلى أهلها عنها وتركوها للناهبين ولأشجار الغابة فتخفيها عنا سنين طويلة .. وتضم الأسوار الخارجية قرابة خمسة وخمسين فداناً ، تناثرت فيها فى تخطيط جيد : قصر عظيم وجامع كبير ، وسبعة دور وثلاثة مقابر ذات عمد . وقد كشف معظم مبانى المدينـة ومنها الجامع الكبير الذى يرجع بناؤه إلى القرن الخامس عشر ثم أعيد بناؤه بعد مائة سنة من تشييده وهو نموذج مثالى لعمارة الجامع الكبير فى شرق أفريقيا بناء مستطيل الشكل ومحراب فى جداره الشمالى وفيه منبر له ثلاث درجات ويشتمل كل جدار طويل على ثلاثة أبواب . وفى الجانب الغربى غرفة ،وفى شرقه توجد شرفة ، وفى الصحن تقوم الميضأة ، وسقف الجامع مصنوع من التربيعات المرجانية التى لصقت بملاط الجير والرمل بعناية . وعلى بعد بضع مئات من الياردات يوجد القصر بملحقاته التى تفصلها عنه طريق ، ومدخل القصر جميل الهندسة كما أنه يحتوى على عـــدد كبير من القاعات الفسيحة والمتوسطة ، وفيه بهو صالح للاجتماعات وآخر للاستقبال . ويشتمل أيضاً على عدد من الأفنية ، والمجال لا يتسع لحديث مسهب عن آثار جيـــدى الإسلامية التى يعود الفضل فى كشفها للعلامة كيركمان .

آثار منبسة (Monbasa)

نصل إلى منبسة ، والمعروف أن على بن حسن وجماعته هم الذين بنوها فى القرن العاشر . زارها ابن بطوطة (١٣٣١) فى رحلته الأفريقية ويربط

قبلة مسجد مجانجاني بالقرب من جدى
لم يحقق تاريخ إنشائها بعد

جزيرة منبسة بالمدينة الساحلية جسر طويل وتتسم المدينة اليوم بطرازها العربى وتتخللها المسالك الضيقة وبها المساجد والدور القديمة التى تلقى الضوء على طراز عمارتها منذ ثلاثة قرون وفيها قلعة شيدها البرتغاليون . أمضى ابن بطوطة فى منبسة ليلة واحدة ثم ركب البحر قاصداً كلوه فى الجنوب .

وعبر مسافة طويلة جنوب منبسة تناثرت الدور العربية الصغيرة ونشاهد أطلال المساجد الصغيرة وبعض المقابر . فإذا ما وصلنا إلى موونجى (Muunge) شاهدنا مسجداً صغيراً يعلو محرابه شريط من الزخارف يذكرنا بالشريط الموجود فى محراب تشوا كا (Chwaka) فى جزيرة پمبا . كما أن هناك عدة مساجد شيد معظمها فى القرن الثامن عشر . وعلى بعد قرابة خمسين ميلا جنوب منبسة نصل إلى فومبا (Vumba) التى كانت دويلة هامة نهضت قرابة عام ١٢٠٤م . ومن سوء الحظ أن المخطوط الفريد الذى احتوى على تاريخها وعنوانه « أخبار فومبا كو » تلف فى أثناء أحداث عام ١٨٩٥ التى خربتها وكانت أهم مدنها « فومبا كو » ويمكن اعتبارها من المدن العظيمة، ويدل على على هذا ما خلفته من الأطلال التى تشاهد اليوم فى قلب منطقة من الغابات الكثيفة(٣) .

آثار زنجبار وپمبار وتومباتو

مازالت المعلومات الأثرية عن أماكن أثرية كثيرة فى جزر زنجبار غير كافية . ونقصد بها تلك التى اتصلت بالعصور الوسطى . حقاً أن هناك بعض الأطلال التى ترجع إلى العصر المعروف بالشيرازى توضح قيام مدن شتى فى الجزر الثلاث واشتملت على بعض المبانى المشيدة من الحجارة ومنها جوامع كبيرة . ففى بلدة كزيمكازى فى جنوب جزيرة زنجبار مسجد قديم من أعجب المبانى فى شرق أفريقيا وفوق محرابه نقش كوفى نصه :

(اليمين) قبلة جامع شنغيجو فى جزيرة بمبا (القرن ١٥)
(اليسار) قبلة الجامع الكبير بشواكا فى بمبا (القرن ١٥)

« بأمر الشيخ السيد ابن عمران مقوم (ملك) الحسن بن محمد أطال الله حياته المديدة اللهم أقضى على أعدائه . تم بناء هذا المسجد فى يوم الأحد من شهر ذى القعدة سنة خمسمائة من الهجرة (الموافق ١١٠٧م)[٤] .

وفى تومباتو وهى الجزيرة الصغيرة التى تقع شمال غربى جزيرة زنجبار أطلال تحتل مساحات كبيرة وهى تدل على أن المدينة التى شغلت موضعها فى الأصل كانت أكبر مدن الساحل الشرقى ويعرف هذا الموضع اليوم باسمين هما: كيدارينى وماكوتانى[٥] . ويشتمل على بقايا أسوار ومساجد وقصر وحصن ودور شتى[٦] . وليس بجزيرة بمبا (الخضراء) تاريخ خاص بها وهى تفخر بخصوبة أرضها الزراعية وبما احتوته من الدور القديمة . ومن أهم آثارها الباقية تلك التى تشاهد أطـــلالها فى رأس مكومبو فى غربها ، وفى تشواكا وپوجينى على ساحلها الشرقى ، كما خربت تماماً ما كانت منها باقية فى مكيا وانجومبى[٧] . وكان من بينها مسجـــد متقن البناء اشتمل على ثلاثة أروقة ومحراب ذى عقد ، وقد شاهد العالم الآثارى كركمان فى الجانب الشرقى من پمبا مجموعة من المساجد الخربة .

الآثار الإسلامية فى ساحل تنجانيقا

أهم مجموعات الآثار فى تنجانيقا موزعة بين ثلاث محافظات : تانجا شمالا ، وتنجانيقا الشرقية ، فالجنوبية . وأهم المواقع الأثرية فى الشمال تونجونى[٨] مركز الامارة القديمة « متانجاتا » ، وتشتمل الأطلال هنا على مسجد ومجموعة من المقابر ذات الأعمدة التى يرجع تاريخها إلى القرنين ١٤ و ١٥ وليس قبل ذلك ، والمسجد فسيح وحيد البناء . وإلى جنوب تونجونى تقع ندومى[٩] . داخل سور ، وإلى جنوبها بانجاتى[١٠] ويليها كيونجاتى . ويقابلنا فى المحافظة الشرقية (الوسطى) كاوْلى حيث نجد مسجدين ومجموعة من المقـــابر

قبلة جامع سنجو منارة .
(القرن ١٥ أو ١٤)

التقليدية وبعض الدور المخربة ، ولأحد المسجدين وهو الأكبر محراب بسيط دون زخارف وفيه غرفتان وميضأة . أما المسجد الآخر فإنه أصغر من الأول وفى بندرينى (١١) وماكونجو دوجو (١٢) . مسجدان صغيران ، ولثانيهما باب نموذج فى الرشاقة الزخرافية . وفى مساسانى (١٣) .عدة مقابر . ثم يقابلنا مسجداً فى مبوماجى (١٤) . ونجد على مدخله نقشاً تاريخياً يرجع إلى عام ١٠١٧هـ (١٦٠٨/٩) ربما كان لمسجد أقدم . وفى الطرف الجنوبى لمحافظة الجنوب ومقابل نهر روفيجى مجموعة جزر مافيا وقد عثر فيها على مجموعة طريفة من عملة كاوا . وقد أثمرت التنقيبات التى أجريت فى كيسيمانى مافيا عام ١٩٥٧ عن مسجد له طوابق شتى يرجع تاريخه إلى مابين نهاية القرن الثالث عشر ونهاية الرابع عشر . وفى جزيرة جوانى بأرخبيل مافيا ، نجد موقع كوا (١٥) الفسيح وفيه بقايا قصر وخمسة مساجد وبعض الدور ، ولم يصف أحد آثار هذا الموقع وصفاً علمياً من قبل . نشاهد جامع الجمعة وله محراب مزخرف وجميل وقريب الشبه للمسجد النبهانى القائم فى جزيرة سونجو منارة ، ويبدو أنه رمم مرات شتى . وبالقرب منه مسجد ضيق له محراب يشبه المحراب الأول وربما ينسب إما إلى القرن ١٤ أو ١٥ . ومن الصعب إعطاء رأى صحيح عن المساجد الأخرى لحالتها السيئة . أما القصر فما زالت بعض أجزائه سليمة وهو لا يشبه القصور الأخرى القائمة فى جيدى وبيت وكلوه أو فى سونجو منارة (١٦) .

وعلى بعد أميال قليلة جنوب نهر روفيجى حدود المحافظة الجنوبية حيث تنهض بقايا مدينة كاوا العظيمة التى كانت حتى القرن السادس عشر خير تعبير للحضارة الاسلامية التى سادت هذا الساحل الشرقى . وأرخبيل كاوا يحتوى على جزر كاوا — سونجو منارة وسانجى يا كاتى ويرجع تأسيس كاوا إما إلى القرن العاشر أو إلى القرن الثانى عشر فى رأى آخر حينما وصل الزعيم

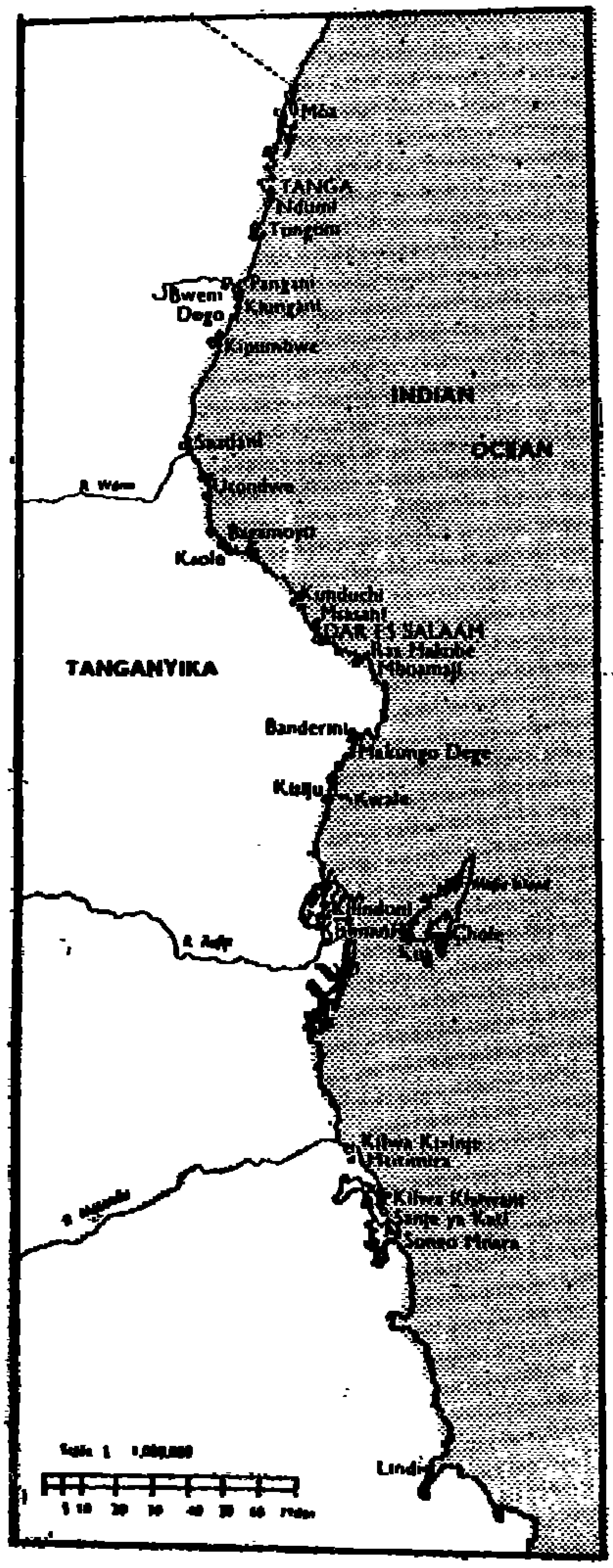

مدن وثغور الساحل التانجانيقي

على بن سليمان بن أحد سلاطين شيراز إليها قادماً من الخليج العربى أو أحد المنازل الاسلامية على الشاطىء الأفريقى ويعتبر أول سلاطـــين كلوا من الجماعة الشيرازية ، كما تؤيد قطع العملة التى عثر عليها هناك فى كلوا[١٧] .

تفخر كلوا بعصرها الذهبي الذى امتد ما بين القرن الثالث عشر والرابع عشر حينما كانت المدينة عروس الشاطىء الافريقى ، ولما كانت تجارتها الزاهرة فى حاجة إلى سك النقود ، فقد لجأ سلطان كلوا إلى سك عملة خاصة ضربها من النحاس ، وما زالت تشاهد إلى اليوم فى متاحف علم النميات . وقد عثر فى كلوا ومافيا وزنجبار على قرابة ١٠٠٠٠ قطعة عملة نحاسية منها . قال ابن بطوطة عن كلوا حينما زارها عام ١٣٣٢ « أنها مدينة عظيمة ساحلية ، ومن أحسن المدن وأتقنها عمارة ، كلها بالخشب والأمطار بها كثيرة ، وهم أهل جهاد لأنهم فى بر واحد متصل مع كفار الزنوج ، والغالب عليهم الدين والصلاح وهم شافعية المذهب » . والجدير بالذكر أن «جيالان» الضابط الفرنسى البحرى (النصف الأول من القرن ١٩) كان أول من لفت الأنظار إلى تاريخ كاوه الذى دوّنه دى باروس فى كتابه[١٨] بالبرتغالية .

وبالرغم عن اختلاف المراجع التاريخية عن بداية تاريخ أول سلاطين كلوه فيمكن القول أنه بفضل التنقيبات الأثرية الأخيرة ، ونتيجة لفحص قطع العملة الخاصة بكلوا ، فقد اتضح أن منتصف القرن الثانى عشر يمكن اعتباره تاريخاً صحيحاً لتأييد كاوا ، وأن أول سلطان عظيم لها هو سليمان حسن بن داود الذى حكم كاوا وبمبا فى منتصف القرن الثالث عشر . وكانت خاتمة كلوا فى ٢٣ يوليه عام ١٥٠٥ حينما وطأت أقدام جنود فرانسسكو ألميدا بر كلوا وفر السلطان من قصره بالمدينة ومن ثم استولى عليها البرتغاليون ونهبوها ثم شيدوا حصناً بالقرب من الميناء .

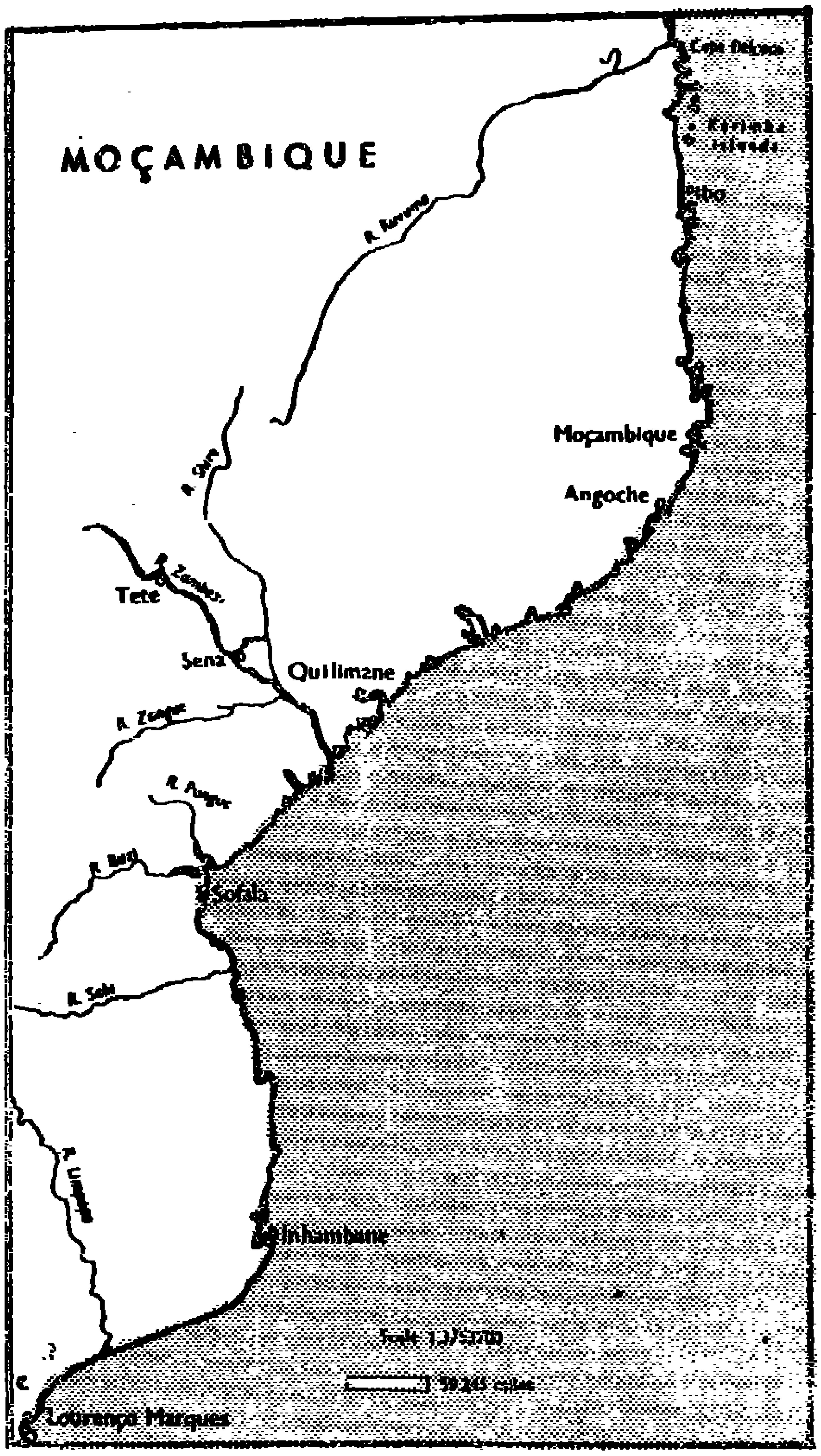

مدن ساحل موزمبيق

وآثار كلوه الهامة عبارة عن مبان عامة تتألف من ثلاثة حصون هى : حصون كبــوا[١٩] وحصون ندوجو [٢] وجريزة[٢١] والجامع الكبير ، والمسجد ذى القبة ، ومسجد مالندى والمسجد القائم من السور . وليس فى هذا الموقع الأثرى قبور ذات عمد ، وهذا يدعم رأى القائلين بأن هذا النوع من المقابر محلى وليس قادماً من العالم الإسلامى الخارجى ولكن هناك مجموعتين من المقابر العادية .

آثار كلوه

بدأ التنقيب فى كلوا فى عام ١٩٥٨ فقط وهو ما زال مستمراً ، واتضح إلى الآن أن أقدم أثرين أهمها هى حصون كبوا والجامع الكبير بقبابه الثمانية عشرة وبأقبائها الثمانية عشرة ، وجميعها تجعل هذا الجامع أروع مخلفات الآثار الاسلامية فى الساحل الافريقى الشرقى . وينقسم الجامع إلى قسمين : القسم الشمالى وفيه المحراب ، ولهذا القسم سقف مستو ، والقسم الجنوبى بقبابه الصغيرة وأقبائه المستديرة . وقد نهض العالم الآثارى نيفيل تشيتك بالتنقيب فيه ويرجع الفضل إليه فى إعادة تاريخ هذا الموقع الأثرى ويتفق العالم كركمان معه فيما وصل إليه .

ويشتمل أقدم أجزاء المسجد على القسم الشمالى الذى يحتوى على الميضأة فى ناحية الغرب ، والممر المقبى(Vaulted)فى ناحية الشرق . ويحتمل أن هذا الجزء من المسجد كان مغطى بسقف مستد يقوم على أعمدة خشبية ويرجع تاريخ هذا الجزء فى الغالب إلى القرن الثانى عشر ، وفيما بعد ضوعفت الجدران الشرقية والغربية فى المسجد القديم ، ثم امتد ناحية الجنوب وذلك باقامة عمد مؤلفة من قطعة واحدة ، فتألفت الأروقة حول الصحن وغالباً ما كان هذا شكل الجامع فى أيام سليمان بن حسن أعظم سلاطين كلوا ، وقد اشتهر بأنه

كان يهيم بالبناء . ثم أضيف أخيراً البناء ذو القبة القائم بالجنوب الشرقى وكان يتعبد فيه السلطان المظفر حسن ، الذى التق ، الرحالة ابن بطوطة وقد تدهور الجامع فى بداية القرن الرابع عشر حتى أعيد بناؤه فى أيام سليمان بن محمد (١٤٢١ — ١٤٤٤) . وفى هذه المرة بنى سقف جديد فوق الجزء الشمالى وأعيد بناء القسم الجنوبى وذلك بإضافة القباب والممرات المقباة وكانت تحملها الأعمدة المثمنة الأضلاع ، وهكذا كان شكل الجامع كما رآه البرتغاليون وشاهده « هانزماير » الألمانى وقال عنه أنه يشبه جامع قرطبة الكبير . وكان يتصل القسم الجنوبى للمسجد بالقسم الشمالى بوساطة رواق فى الشرق ورواقين فى الغرب وهناك على مسافة صغيرة غرب الجامع توجد بئر ماء فى غرفة ذات قبو يعلو حوالى تسعة أقدام ، وربما أخذ المسجد فى التدهور للمرة الأخيرة أثناء القرن السادس عشر . وعلى مسافة قليلة غرب الجامع الكبير ، يقوم مسجد ذو قبة وله تسعة أروقة ، ويشتمل على قاعة عند كل من جانبه الشرقى والجنوبى ، وله حوض للغسيل فى الركن الغربى ، وأجزاء السقف منوعة البناء ففيه القباب والقبوات ... الخ وكان المحراب وقبوتان وقبة المجاز الأوسط يعلوها الطلاء الفخارى الأزرق وربما يرجع بناء هذا المسجد إلى القرن الخامس عشر .

يقع إلى غرب المسجدين — القصر وهو مؤلف من طابقين وله عدة أبواب تفتح على الفناء الكبير . ويقع فى جزئه الغربى المقر السلطانى وفى الجانب الشمالى والجنوبى مجموعتان من الغرف . وفى الركن الجنوبى الغربى مربع مستطيل الشكل وتتصل به أسوار أخرى ذات شرفات . وقد شيدت أجزاء القصر فى فترات متعاقبة . ومع ذلك فإن أقدمها لا تتجاوز القرن الثامن عشر .

وفى الجانب الآخر من مدينة كلوه عند البحر ناحية تقوم القلعة (جريزة)

وهى مشيدة على جرف من المرجان يبرز فى البحر وقد شيدت القلعة فوق الموقع الذى كانت تشغله قلعة سنتياجو البرتغالية فى أخريات القرن الثامن عشر . وهنا كانت مدينة كلوا القديمة . وما تبقى منها اليوم هو مسجد مالندى والمقابر المجاورة ومحراب هذا المسجد يرجع إلى القرن ١٨ ولكن المسجد يعود إلى القرن الخامس عشر .

وعلى مسافة قرابة ميل يقع مبنيان هما حصون كبوه وحصون ندوجو ، ويعتبران من أروع مبانى الساحل الشرقى وأطرفها . وتقوم مصلحة آثار تنجا نيقا منذ عام ١٩٦١ بالتنقيب فيها تحت إشراف المعهد البريطانى للتاريخ والآثار والأستاذ نيفل تشيتك ، ولم يصدر بعد التقرير الختامى عن أعمال التنقيب .

تقوم حصون كبوا على شرف عال يرتفع قرابة خمسين قدماً فوق سطح البحر ويحمى هذا الموقع ثلاثة منحدرات من حوله وتغطى مساحة فدان تقريباً . وقد عثر فيها على أجزاء من كتابات منقوشة يقرأ عليها اسم الملك المنصور حسن بن سليمان الذى استضاف ابن بطوطة . ويرجع تشيتك بناء حصون كبوا إلى قرابة عام ١٣٠٠ أو نهاية القرن الثالث عشر .

أما حصون ندوجو فتقع شرق حصون كبوا وهى عبارة عن بناء مستطيل الشكل تتخلله الأبراج فى جميع الأجناب ولا توجد الآن مبانى قائمة داخل الحصون أو بقايا مبانى يحتمل أن تكون على شىء من الأهمية وربما كان هناك فى ذات يوم مسجد مكشوف .

وفى داخل الخليج الذى تقع فيه جزيرة كلوا توجد جزيرة أخرى اسمها سونجو منارة أو سونجو رونجاو فيها أطلال قصر كبير وبعض الدور الكبيرة وجميعها ترجع إما إلى القرن الرابع عشر أو الخامس عشر. بالقرب من القصر

نجد مسجداً صغيراً له قبلة ذات حنية مضلعة (fluted) ، كما أن هناك مسجداً يعرف بالمسجد النبهانى ، من المحتمل أنه شيد بعد غزو « بيت » لكلوا فى القرن ١٤ ، وقد شاهده الرحالة برتون (Burton) حينما زاره وشاهد قبلته وكانت مغطاة بالخزف الأزرق المطلى بالميناء وقد اختفى هذا الخزف الآن . ولم يقم بعد أحد بالتنقيب علمياً فى سونجو منارة ولكن عثر على بقايا كثيرة من الخزف المهشم الصينى .

وفى البر الأفريقى شمال بلدة كلوا ، يقابلنا موقع متيتميرا (Mtitmira) جنوب كلوكيفنجى ، وفى ذلك الموقع مسجد صغير وإلى الجنوب من كلوا بعض الأطلال التى قد تنسب إلى القرن التاسع عشر ، ولعل أهمها موقع مجاو موانجا[٢٢] الذى يشتمل على عقد ذى أضلاع كثيرة وفى داخل محراب المسجد ويعرف الموقع باسم مونجالو [٢٣] ويرجع إلى آخر القرن الثامن عشر أو بداية القرن التاسع عشر وكانت مركزا تجاريا .

التأثيرات المعمارية الأسيوية :

نعلم جيداً عن الصلات التجارية بين البلاد العربية والخليج العربى — الفارسى والهند والصين من ناحية ، وبين مدن ساحل شرق أفريقيا من ناحية أخرى ، ولكن ماذا عن الصلات المعمارية ؟ إذا سلمنا بأن بعض هذه المدن كان فيها مقيمون من العرب وبعضها مقيمون من أهل شيراز الفرس وأنهم لم يكونوا مستعمرين بالمعنى المعروف الآن . ولكن المسلم به كانوا فى جميع الأحوال مسلمين وكانت لغتهم الرسميـــة المكتوبة هى اللغة العربية[٢٤] ثم شاركتها اللغة السواحلية التى اقتبست الكثير من العربية والفارســية والهندية ، وأخيراً الألمانية والانجليزية والبرتغالية .

ذكرنا أن التنقيبات الأثرية فى كلوه أخذت تجلو بعض الحقائق المعمارية وأهم ما لاحظه العالم « جيرفيس » أن مبانى كلوا خالية من التأثيرات

الأفريقية[٢٥] وأن عمارتها ترتبط بطراز ينسب إلى أكثر من بلد فى العصر الإسلامى المبكر، وأن الحاكم الذى شيد القصر فى كلوا لابد أنه كان على ثراء موفور، فاستطاع جلب الصناع والفنانين المهرة من العراق أومصر، وعلى ذلك يقول جيرفيس أن بناء القصر كان نتيجة الثروة الجديدة التى تدفقت على كلوا بعد عام ١١٧٠م بعدما أشرفت على تجارة الذهب إلى بلاد الشمال من الساحل. ولكن قد يرد على هذا الرأى بأن النقش الكتابى الذى ذكرناه وعليه اسم الحسن بن سليمان الذى حكم كلوا فيما بين (١٠٠٥ – ١٠٤٢)، فإذا صح هذا، كانت كلوا عاصمة دولة عظمى لمدة قرن قبل أن أصبحت تشرف على الطريق التجارية التى تبدأ من سفالة جنوب كلوا.

والآن لنفحص الأصول المعمارية لكل من حصون كبوا وحصون ندوجو. وقبل كل شىء فإننا نلاحظ أن حصون ندوجو تختلف فى عمارتها عن عمارة أى مبنى فى الساحل الشرقى جميعه. فأسوارها الخارجية تشبه كثيرا تلك الأسوار التى أقيمت فى المبانى التى شيدت فى البلدان العربية تحت حكم الخلفاء الأمويين (٦٦١ – ٧٥٠م) وأوائل حكم العباسيين ومنها على سبيل المثال قصر المشتى فى الأردن، وجامع الرقا الكبير (القرن ٨ م) بالرغم أن عمارة حصون ندوجو فى مستو أقل نسبيا. وبينما نلاحظ أن حصون ندوجو من بعض النواحى ليست غريبة عن أسلوب المبانى الأخرى التى نسب إلى العصور الوسطى فى الساحل الشرقى، فإن لها أيضا بعض الخصائص التى لا نجد شبيها لها. فمثلا حوض السباحة الموجود فى حصون كبوا يشبه من ناحية تخطيطه ذلك الحوض الموجود فى صحن جامع حران الكبير الذى نقب عنه عالم الآثار البريطانى رايس، كذلك الممشى أو الإضافة التى حول الحوض المذكور يمكن أن نقابلها بالممشى الموجود فى ضريح قبة الصليبية فى سامراء التى يرجع تاريخها إلى القرن التاسع، وإحدى القباب الموجودة فى حصون

كيوا طرازها غير عادى ، فأضلاعها الداخلية وحافاتها المستديرة فى الخارج تشبه تلك التى على قبة جامع القيروان الكبير الأموى الأصل . وهكذا نلاحظ تأثيراً معماريا أمويا وعباسيا على عمارة كلوا . والجدير بالذكر أنه وصلت هجرات متتالية من البلدان العربية فى القرنين الثامن والتاسع حينما كان كان يحكمها الأمويون ثم العباسيون وليس بخاف أنه لا يوجد شبيه لهذا الطراز المعمارى فى أى من مدن الخليج ، فعمارة مسجد سوق الخميس مثلا فى جزيرة البحرين ، والمسجد المخرب الموجود فى أطلال سيراف وما تبقى من المبانى التى لاتزال تشاهد فى هرمز — جميعها ليس فيها ما يشبه مبانى تلك المدن الساحلية من حيث أسلوب عمارتها .

ومع ذلك فإن حصون ندوجو ، مع أنها ليست مرتبطة معماريا بأى من المبانى التى شيدت فى العصور التالية على الساحل ، فأننا نلاحظ كثيرا من خصائص حصون كبوا استخدمت فى القرنين الرابع عشر والخامس عشر وقد ذكر منها الكثير فى التقرير السنوى الذى أصدرته مصلحة الآثار فى تنجانيقا رقم ٦ عام ١٩٦٠ (مجلة التاريخ الأفريقى ، مجلد ٤ ، جزء ٢ عام ١٩٦٣ ص ١٩٠) .

التأثيرات الثقافية العربية

ولنتكلم بإيجاز عن التأثيرات الثقافية العربية فى هذا الساحل ، فنقول :

١ — تطورت أحوال أهالى الساحل الشرقى بعد أن أخذ العرب المقيمون هناك بأيديهم فى مسالك الحضارة الإسلامية ، وأضفى الإسلام على حياة الذين اعتنقوه طابعا اجتماعيا وحضارياً بعد أن استعربوا ، وكان التزاوج المستمر سببا فى ظهور جماعات كثيرة خلطت دماؤهم العربية بالدماء الزنجية ويمثل هذا الامتزاج الجنسى السواحليون .

٢ ـ أختلطت اللغة العربية والفارسية بلهجات قبائل البانتو ، فتولدت اللغة السواحلية التى اشتملت على عدد كبير من الألفاظ العربية وأصبحت تكتب بالحروف العربية ، ويتكلم هذه اللغة اليوم قرابة خمسين مليونا .

٣ ـ كان من تأثير إزدهار التجارة بين بلدان غرب آسيا والساحل ، ان عم الرخاء سكان تلك المناطق الساحلية ، فارتقت مستويات حياتهم . وليس بخاف أن العرب بذلوا جهودا طيبة فى إدخال الزراعة وتطويرها وتوسيع الرقعة الزراعية وإدخال زراعة الغلات وقصب السكر . وفضلا عن ذلك أدخل الهنود كثيراً من الحرف والصناعات كالحلى وصناعة التعدين والحياكة وغيرها .

وهكذا نرى أن دين أفريقيا الشرقية لبلدان غرب آسيا دين حضارى عظيم شمل الكثير من مجالات الفكر والعلم والعمران . . .

المراجـــع

(١) عصام عيسى غيدان بنيروبي : العرب في بلد السواحل الأفريقية — مجلة العربي — عدد ١٦٨ بتاريخ نوفمبر ١٩٧٢ ، ص ١٦٤ — ١٧٢ .

(٢) عثر الأستاذ (هيتشينز) على كتاب ألفه شيبير فرج بن أحمد الباقوري عنوانه (أخبار لامو) ، عرض فيه لتاريخ لامو والهجرات الأولى التي تدفقت إليها فذكر أن الهجرة الأولى كانت فريقاً من أهل الشام لم يرضوا عن سياسة الحجاج بن يوسف فرحلوا الى أفريقيا وأخضعوا هؤلاء السكان الأصليين وفي عقب هـــذه الهجرة جاءت جماعة من أهل عمان كان منهم سليمان وسعيد من أبناء عباد الجلندى وكانوا أعلنوا الثورة في وجه الخليفة عبد الملك بن مروان ولما غلبوا على أمرهم فروا الى شرق أفريقيا ولما وصل سعيد اعترف له المهاجرون السابقون بزعامته عليهم . فرسم لهم أن تقسم لامو الى أحياء صغيرة لكل منهم شيخها وشيوخ الأحياء كلهم يؤلفون مجلس للشورى ، فكانت امارة لامو هـــذه أقدم الإمارات الإسلامية ظهوراً في ساحل شرق أفريقيا .

Hitchens : Islam in East Africa, p. 110. in Islam To-day.

(٣) Hollingworth, L.W. : A. Short history of the East Coast of Africa, p. 52

(٤) Flury, S. : The Kufic Inscriptions of the Kisim Kazi mosque J. R. Asiatic Society, 1922:

(٥) Kidarini, Makutani.

(٦) Prins, A. H. J. The Swahili-Speaking Peoples of Zanzibar and The East African Coast. Inter. Afr. Inst. p. 37.

(٧) Intiawa Ingombe.

(٨) Tongoni.

(٩) Indumi.

(١٠) Pangani

(١١) Banderini.

(١٢) Makungo Dogo.

(١٣) Masasani.

(١٤) Moboamaji,

Kua. (١٥)

Songo Mnara. (١٦)

Barros, J. de : Decadas – da Asia, ed. A. Baiao, (١٧)
Coimbra, 1930.

Chittick, N. : The Shirazi Colonization of East (١٨)
Africa. J. African History, vol. VI, 3, (1965), pp. 275 — 294.

Husuni Kubwa. (١٩)

Husuni Indogo. (٢٠)

Gereza. (٢١)

Ingao Inwango (٢٢)

Mongallou. (٢٣)

History of East Africa, vol. I, p, 116. (٢٤)

There is no trace within it of any African (٢٥)
influence,